

محاولة في فهم الصراع العربي الصهيوني (الأسباب، الأدوات، والمآلات)

An Attempt to Understand the Arab-Zionist Conflict (Causes, Tools, and Outcomes)

عبد الفراج نصرالله¹

¹ جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر)، abdefaradj@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/02/22 تاريخ القبول: 2025/06/26 تاريخ النشر: 2025/09/01

ملخص:

يعتبر الصراع الفلسطيني الاسرائيلي أحد اكثر الصراعات خطورة وتعقيدا من بين الصراعات التي عرفها الجنس البشري عبر تاريخه الطويل. وذلك راجع الى طبيعة الأفكار والادوات التي استخدمت فيه وإلى قدسية المكان الذي يدور حوله الصراع أيضا. فبالإضافة الى الاستخدام الهائل للقوة المادية وفي مقدمتها القوة العسكرية نلاحظ حظورا للقوة في كل ابعادها وصورها وتجلياتها حيث اخذ هذا الصراع بعدا سياسيا وثقافيا وماليا وإعلاميا. ولكنه في المقام الأول أخذ بعدا دينيا. فمنذ وعد بلفور 1917 بدأت أوروبا تتهياً لإرسال اليهود إلى أرض فلسطين، وكان ذلك إيذانا بالبداية الفعلية لهذا الصراع. يضاف إلى ذلك كثرة الأطراف التي تمسك بخيوط هذا الصراع وتلعب ادوارا متناقضة في الكثير من الأحيان ولعل أخطرنا هو التماهي مع السردية الصهيونية في اعتبار الطرف المعتدي صاحب الحق وذلك بموجب فرض أمر واقع هو واقع القوة لا واقع الحق. كلمات مفتاحية: الإسلام، التاريخ، فلسطين، الصهيونية، الصراع

Abstract:

One of the most significant and intricate conflicts in human history is the Israeli-Palestinian conflict. This is because of the nature of the concepts and instruments employed in it as well as the holiness of the location where the dispute is centred. The conflict has taken on a political, cultural, financial, and media dimension, and in addition to the numerous parties involved in it, which frequently play opposing roles, we also observe the pervasiveness of power in all of its forms, manifestations, and dimensions. This is in addition to the massive use of material power, particularly the military, but above all the religious one. In addition, the many parties that hold the strings of this conflict and play contradictory roles in many cases, perhaps the most dangerous one is the identification with the Zionist narrative in considering the aggressor as the rightful party by imposing a fait accompli.

Keywords: Islam, history, Palestine, Zionism, conflict

*المؤلف المرسل: عبد الفراج نصرالله

يعتبر موضوع الحركة الصهيونية من أهم المواضيع في التاريخ الحديث نظرا لتأثيره العميق والمستمر على السياسة العالمية والواقع الجيوسياسي في الشرق الأوسط. يمكن تلخيص أهمية وتأثير هذا الموضوع من عدة جوانب، فالحركة الصهيونية كانت القوة الدافعة وراء تأسيس دولة إسرائيل في عام 1948م. هذا الحدث غير خريطة الشرق الأوسط بشكل جذري وأدى إلى سلسلة من الحروب والنزاعات التي لا تزال تؤثر على المنطقة حتى اليوم. ويعد النزاع المستمر بين الإسرائيليين والفلسطينيين أحد أعقد النزاعات في العالم. فالحركة الصهيونية، من خلال دعمها لهجرة اليهود إلى فلسطين وإنشاء دولة يهودية، أسهمت في تشكيل الأسس التي قام عليها هذا النزاع. تأثير هذا النزاع يمتد إلى السياسات الدولية والإقليمية ويؤثر على العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل والدعم الدولي لإسرائيل، وخاصة من الولايات المتحدة إذ ساهم في خلق تحالفات وأثار توترات في النظام العالمي. فالعديد من الدول والمجتمعات تعتبر سياسات إسرائيل تجاه الفلسطينيين غير عادلة، مما أدى إلى نقاشات مستمرة حول حقوق الإنسان والعدالة الدولية كما أن لها تأثير ثقافي واجتماعي، فالحركة الصهيونية لم تكن فقط حركة سياسية، بل أيضا ثقافية واجتماعية، أسهمت في إحياء اللغة العبرية والثقافة اليهودية في إطار دولة قومية. هذه الجوانب الثقافية لعبت دورا محوريا في تعزيز الهوية اليهودية العالمية. فتأسيس دولة إسرائيل أدى إلى التشرّد أو ما يعرف بالنكبة الفلسطينية وتهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين من أراضهم. هذا الحدث خلق أزمة لاجئين مستمرة وتداعيات اجتماعية واقتصادية وسياسية كبير في العالم العربي والإسلامي، كما أثارت الحركة الصهيونية ردود فعل قوية من حركات وأفراد يعارضون تأسيس دولة قومية على أساس ديني أو عرقي كما يعارضون ممارسات هذه الدولة، مما أدى إلى ظهور حركات مناهضة للصهيونية سواء في الأوساط العربية أو الدولية. هذه الحركات تلعب دورا كبيرا في النقاشات المستمرة حول العدالة وحقوق الإنسان في سياق النزاع الفلسطيني الإسرائيلي.

- فما هي الحركة الصهيونية العالمية وما هي المبررات أو المرتكزات التي قامت عليها؟

- هل تستند هذه الحركة في وجودها إلى حق تاريخي فعلا أم إلى منطق القوة واللاقانون؟

ماهية الصهيونية:

لغة: سميت الصهيونية نسبة إلى جبل صهيون الذي يقع جنوب بيت المقدس ويقده اليهود (علوي بن عبد القادر <https://dorar.net/adyan/295>). كلمة صهيونية ترجع إلى صهيون وهو أحد التلال أو الجبال التي تقوم عليها مدينة القدس القديمة وهو اسم كنعاني الأصل ورد ذكره في التوراة والإنجيل وتشير بعض الروايات أن لفظ صهيون عرف في بيت المقدس زمن اليبوسيين أبناء عموم الكنعانيين العرب قبل ظهور بني إسرائيل بنحو ألفي عام وأقاموا حصنا عليها. لذلك فإن الكلمة كنعانية وليست عبرية يهودية شأنها في ذلك شأن أكثر أسماء مدن وقرى فلسطين القديمة التي كانت ولا زالت تحمل أسماءها الكنعانية الأصلية حتى يومنا هذا. (إسماعيل أحمد ياغي 1983، ص23).

اصطلاحاً: هي حركة سياسية استعمارية ظهرت في القرن التاسع عشر، يعمل أصحابها على تنفيذ فكرة الصهيونية الدينية والسياسية بكل الوسائل التي يمكن أن توصلهم إلى هدفهم في إقامة وطن قومي في فلسطين. (الجبوري صائب صالح، د س، ص 62)

اتخذت من الدين اليهودي الأساس الأول لتحقيق أهدافها الاستيطانية عن طريق تهجير اليهود إلى فلسطين، كما أنها اعتمدت المقولات الماركسية حول العدل والمساواة وحاولت إدماجها مع فكرة الصهيونية التي تدعو إلى إقامة كيان مستقل لليهود في العالم وليظهروا أنهم أمة واحدة. ومن أبرز مفكري الصهيونية اليهودي الروسي "بيير بورخوف" (1882-1917). (شيحة ميشيل، 2003، ص 389). (دوف بير بورخوف كان أحد أسلاف الصهيونية الاشتراكية ومن مؤسسي حزب پوعالي صهيون (عمال صهيون) وزعمائه. كان أيضاً رائداً في دراسة اللغة اليديشية). يعرفها روجيه غارودي على أنها عقيدة سياسية قومية عنصرية استعمارية. تعود إلى النزعة الأوروبية والحركة السياسية اللتين عرفهما القرن التاسع عشر ميلادي، ويضيف بأنها بدعة تريد أن تجعل من الدين وسيلة سياسية لتقديسها من خلال القراءة الحرفية والانتقائية. وسبب تسميتها فهو نسبة إلى جبل صهيون وهو الجبل الذي عسكر فيه بنو إسرائيل لشكر الله على نجاتهم من المصريين. تقوم على رفض انتماء يهود الشتات إلى قوميات أخرى بحجة الحفاظ على صفاء دم شعب الله المختار (جوادلتباي <http://www.ahewar.org/debat/show.art?>، وهو ترجمة لعبارة عبرية هعم هنجاروي يعني هذا المفهوم أن اليهود شعب مقدس في الماضي والحاضر والمستقبل، ولهذا السبب يشار إلى الشعب اليهودي بالمقدس وعام عولام أي الشعب الأزلي، وعام نيتساح أي الشعب الذي يستحق الحياة الأبدية. (الشيخ خليل نهاد محمد سعدي، 2003، ص 7).

وفي تعريف لعبد الوهاب المسيري، وهو مؤرخ مصري، نجد أن الصهيونية هي اتجاه سياسي جديد اشتقها الكاتب اليهودي "ناتان بيرنباوم" من كلمة صهيون ليصف بها هذا الاتجاه بين صفوف اليهود والعالم (ناتان بيرنباوم 1864 - 2 أبريل 1937 كان كاتباً وصحفيّاً نمساوياً ومفكراً يهودياً صهيونياً. طرح مصطلح الصهيونية للدلالة على الحركة السياسية الداعية إلى تهجير يهود العالم إلى فلسطين وتوطينهم هناك). وهي ظاهرة أوروبية برزت نتيجة للظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة آنذاك بأوروبا. تتميز بأنها منظمة عالمية تهدف إلى توطين اليهود في أرض العرب من نهر النيل إلى نهر الفرات، فهي حركة نشطة تتميز بحفاظها على أهداف الماضي ونشاط الحاضر ومخططات المستقبل.

(محمود دياب: 2002، ص 24).

(البساتين <http://www.alweehdat.net/vb/showthread.ph>)

الصهيونية حركة سياسية أدت إلى قيام دولة جديدة لليهود ظهرت في أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر عندما كان الاستعمار الأوروبي قد حقق نجاحا باهرا في سيطرته على جل دول قارتي إفريقيا وآسيا (حسين غباش 1987، ص31). وتبلورت من فكرة مجردة إلى مشروع عمل استيطاني في فلسطين، كما أنها حركة سياسية ظهرت بين يهود روسيا عرفت باسم أحباء صهيون أو الصهيونية. (جبارة تيسير: 1998، ص55).

أما الصهيونية في الفترة المعاصرة فهي حركة علمانية ذات توجه سياسي نحو فلسطين، حيث استمدت قوتها من ضعف اليهود في التعايش والاندماج مع المجتمعات الغربية خاصة في أوروبا. (الصويان أحمد بن عبد الرحمان: 2006، ص130).

الصهيونية هي دعوة وحركة عنصرية دينية استيطانية إجلالية مرتبطة نشأة وواقعا ومصيرا بالإمبريالية العالمية تطالب بإعادة توطين اليهود وتجميعهم وإقامة دولة خاصة بهم في فلسطين بواسطة الهجرة والغزو والعنف كحل للمسألة اليهودية. كما أعطتها صفة القومية وأوهمت أن الشعب اليهودي ذو عرق نقي، فنادت بالهجرة إلى فلسطين مبرزة بذلك أن فلسطين هي وطنهم القومي بحكم أن لديهم فيها حقوقا تاريخية ودينية. (ياغي أحمد إسماعيل: 1989، ص36).

بديهي بالنسبة لكل باحث أو دارس للشأن الفلسفي، أن القيم الخليفة مبحث أصيل وذلك منذ البدايات الأولى لتشكيل النظريات الفلسفية، بدءا بالإغريق والمسلمين وصولا إلى العصر الحديث والأزمة الراهنة. ولا نقاش كذلك في أن هذه القيم تتفرع بحسب موضوعات أحكامنا، فقيمة الصدق والكذب للقضايا المنطقية وقيمة الجمال والقبح لموضوعات الفن والجمال في الأشياء والوجود وقيمة الخير والشر تتجه نحو أفعال الحيوانات العاقلة أي تصرفات الإنسان من حيث هو إرادة عاقلة حر. ومعروف كذلك أن كثيرا من نظريات الفلاسفة الأخلاقيين كانت تهدف إلى الفضيلة حيننا وإلى تحصيل السعادة حيننا آخر، ومنها التي ربطت الخير بالمصلحة أو المنفعة المادية فرديا كانت أو جماعية، فمثالية أفلاطون ذهبت إلى اعتبار الفعل خيرا إذا كان يهدف إلى تحقيق الفضيلة العقلية وإذا اتسق ذلك الفعل مع مفهوم الخير وجوهده، وذهب بعض فلاسفة الإسلام منهم أبي نصر الفرابي إلى اعتبار تحصيل السعادة هو المعيار والهدف الأسمى في وقت واحد من كل الأفعال العاقلة التي ينظر إليها باعتبارها أفعال أخلاقية خيرة. وعلى جانب آخر، نجد الفيلسوف المثالي الألماني كانط يربط مفهوم الخير بالواجب الخلقي، فالإنسان يقوم بالفعل لذات الفعل لا لهدف مهما كانت الغاية المتوخاة من ذلك الفعل، فمراجعة الطالب دروسه قيمتها في ذاتها لا في النجاح المحقق... وهكذا. وعلى هذا المنوال جرى العرف الفلسفي في مجال الأخلاق أي أن القيمة الخلقية لا بد وأن ترتبط بغاية أسمى هي الفضيلة في أغلب الأحيان (<http://www.ar.wikipedia.org/wiki> الموسوعة الحرة)

لكن في الأزمنة المتأخرة ظهر مفهوم جديد، لا يشكل شذوذا ولا تهديدا للأخلاق التقليدية ولكنه وجهة نظر جديدة تتفرع من وجهات النظر السابقة وتدعمها في أغلب الأحيان، أي قيم أخلاقية تدعم فكرة بلوغ الفضيلة عبر أفعالنا الحرة العاقلة.

ظهر إذن مفهوم العناية الأخلاقية، وهو تصور بسيط ولكنه يستهدف القدر الأكبر من الناس، أو لنقل تحقيق قدر أكبر من السعادة والرفاه لأكبر دائرة من الأشخاص، خاصة أولئك العاجزين عن تحقيق سعادتهم بمجهوداتهم وأدواتهم الفردية.

-الواقع إنه لا واحد من الناس على الإطلاق في مقدوره تحقيق الرفاه أو السعادة لنفسه أو لأهله في معزل عن معونة الآخرين، وما التقسيم الاجتماعي للعمل إلا الصورة الواضحة والدليل الذي لا يقبل الدحض من كون الإنسان في حاجة إلى أخيه الإنسان، فدائرة الحياة الاجتماعية تنقسم إلى أدوار ووظائف ومهام يقوم عبرها كل واحد بتوفير خدمة أو مصلحة أو منفعة لفئة أخرى من الناس تعمل بدورها على تلبية حاجة أخرى للفئة الأولى والفئات الأخرى، وهكذا فالأستاذ في الجامعة مثلاً يعمل على تدريس أبناء البنائين و النجارين و المزارعين والأطباء و الحرفيين، وهؤلاء بدورهم يعملون من حيث يعلمون أو لا يعلمون على تلبية حاجاتهم وحاجات الفئات المجتمعية الأخرى، فيقع في نهاية الأمر تبادل واسع للمنافع والحاجات. وعليه ففكرة العناية ليست كشفاً جديداً ولكنها سلوك يومي، كل ما في الأمر أنها أخذت شكلاً نظيرياً أكثر تنظيماً كونها اتجهت إلى الفئات الهشة في المجتمع، أو ما يصطلح عليه في العادة بذوي الاحتياجات الخاصة من ذوي الإعاقة البدنية والذهنية، أو الأطفال الصغار أو العجائز الطاعنين في السن (<http://www ar.wikipedia.org/wiki> الموسوعة الحرة)

-يظهر إذن نظرية العناية لم تشكل أبداً استثناء، ولا حتى بديلاً عن النظريات الكلاسيكية حيث الفضيلة هي مريض الفرس، حتى وإن توارت خلف مصطلحات أو مسميات جديدة أو بديلة كاحترام والمحبة وقبول الآخر، وتحمل المسؤولية اتجاه من هم أضعف منا بدنياً وذهنياً، وما إلى ذلك من المسميات....

-جاءت نظرية العناية فقط لتكسر حاجز الصمت عن هذه الفئات المجتمعية الهشة من أجل لفت الانتباه نحوها حتى لا تبقى طي التهميش أو النسيان. وبالتالي إذا جاز لنا تعريف العناية الأخلاقية قلنا في جملة موجزة: "" هي الخدمة المادية أو النفسية (المعنوية) المباشرة التي يقدمها شخص أو هيئة لشخص أو مجموعة أشخاص هم في حاجة إليها""، وعلى ذلك فالعناية الأخلاقية تقوم على بدأ التدخل المباشر معنويًا كان أو ماديًا، أي أنها لا ترضى أو لا تقنع بكون القيمة الخلقية هي قيمة مجرة، وأن قيمة الأفعال تكون أسمى كلما ارتفعت وانفصلت عن الواقع نحو عقول الفلاسفة. لابد إذن أن تلامس الواقع وأن تخوض غمار تجاربه خاصة التجارب الأكثر جرأة والأكثر ألماً، وأن لا يبقى الفيلسوف في علياء نفسه متأملاً مشاكل الناس يمارس التفكير المجرد الذي تري فيه العناية الأخلاقية جهداً لا طائل يرحى وراءه. فلم تعد الأخلاق على الطريقة الأفلاطونية و الكانطية ذات جدوى، لأن من يحتاج إلى العناية لن يكتفي بقراءة نظرية في فلسفة الأخلاق، الأمر الذي يحتم على المشتغلين في الحقل الفلسفي والاجتماعي

و النفسي التدخل عبر وسائل وأدوات إجرائية أو عملية لدفع الضرر عن الأشخاص المحتاجين و غير خطط علمية و عملية كفيلة بالعناية بهؤلاء فعليا.

إلى هذه اللحظة ظهرت فكرة العناية الأخلاقية بوصفها نظرية جديرة بالاهتمام والاتباع على اعتبار أنها تنزل بالفلسفة الأخلاقية من التنظير نحو التحقيق والفعل، وعندئذ لن يجد أولئك الذين ينتقدون الجهد الفلسفي ويرون سعيا في فراغ أي مبرر منطقي للتقليل من قيمة ذلك الجهد، فلقد أصبحت الفلسفة بفضل هذه الوجهة الجديدة من النظر تشارك الإنسانية همومها ومشاكلها وهواجسها وتفتح لها نافذة أمل من أجل الكفاح لبلوغ وجود أفضل وأجمل.

-أن اللافت للنظر هو كيف تتحول نظرية العناية الأخلاقية من عناية بالأشخاص الضعاف المحتاجين من طرف الجهات القادرة على تلبية تلك الحاجات وتقديمها إلى نظرية في يد الجهة التي تمتلك القوة وتعمل على تلقي العناية من جهات أو جهة هي أضعف منها أو مساوية لها في القوة! يبدو الأمر للوهلة الأولى أقرب إلى الدعاية أو المفارقة الباهتة التي تحمل بين طياتها أية بطلانها، إذ كيف لعاقلا، ناهيك عن الأذكاء، أن يقبل بصحة وجدوى هذه النظرية، والصادم أنها حقيقة قائمة نعيشها وليست ضربا من التوجس أو الوهم.

(<http://www ar.wikipedia.org/wiki> الموسوعة الحرة)

-لفهم هذه المفارقة، وكيف تتحول العناية الأخلاقية بفعل عقل ذكي يمتلك أسباب القوة، بل ويستعمل تلك القوة في نشر الشر وتسويقه على أنه عدالة وفضيلة، لابد وأنه عقل تغذى على المكر والخديعة والقدرة على المناورة وطمس الحقيقة وتزييف الواقع، لننظر إلى التاريخ للحركة الصهيونية.

-إن الأساس الذي تقوم عليه الصهيونية عنصري من حيث المبدأ، وهي لاتخفي هذا التوجه، ومع ذلك تلاقي في الأوساط الفكرة الأكاديمية والأوساط السياسية والمالية والإعلامية أذان صاغية بل متعاطفين وداعمين على الرغم من كون هؤلاء الداعمين ليسوا يهودا ولكنهم من أعراق بشرية أخرى.

-ينظر اليهود الصهاينة إلى الآخرين باعتبارهم حميرا يركبون وفي أحسن الأحوال هم عبيدا عند شعب الله المختار، وأن لا فرصة لهؤلاء الداعمين مثلهم مثل الأعداء في أن يصبحوا في مرتبة أو منزلة اليهودي، بل عليهم فقط تقديم الخدمة والولاء والطاعة لأن هذا هو قدر الله في هؤلاء وهؤلاء.

إن الصهيونية في الزمن الحديث والمعاصر استطاعت أن تكذب على العالم كذبتين كبيرتين، الأولى في تضخيم أعداد اليهود ضحايا المحرقة النازية وكيف أن الحزب النازي بقيادة أدولف هتلر أباد هؤلاء في المحتشدات وغرف الغاز وعبر تسخيرهم للعمل الشاق وقتلهم بأبشع صور ممكنة. وتحدث رواياتهم المتواترة عن ستة ملايين قضاوا في الهولوكوست. يقال هذا، على الرغم من معرفة المؤرخين والأكاديميين -وقد تسربت هذه الحقائق إلى العامة من الناس- بأن العدد مبالغ فيه، وأن الإبادة طالت من غير اليهود من هم من الغجر الأوربيين وأعراق أخرى، وأنه لم يسلم منها سوى الجنس الأري. ومع ذلك فإن الدعاية تشاغلها الآلة الدعاية الغربية تصر على فضاعة المحرقة

في حق اليهود كما ونوعا، فلم يحرق إلا اليهود وان العدد يزيد عن ستة ملايين. إن اليهود الصهاينة المساكين استطاعوا عبر هذه الكذبة لعب دور الضحية، إنه أشبه بدور القطعة المذعورة المبللة، وانطلقت الحيلة فيما يبدو على الجميع إلا البعض من أصحاب الفكر النقدي الحر، وتضافرت جهود هؤلاء من أجل إقامة دولة لهؤلاء المساكين ولكن على حساب شعب عدواني شرير، وكان لهم ذلك لهم بالفعل سنة 1948.

-يحق لنا مع كشف خيوط هذه اللعبة الخطيرة التي بدأت معالمها تتضح منذ ما يزيد عن قرن من الزمن أي مع ميلاد الحركة الصهيونية على يد ثيودور هرتزل وحايم وايزمن ، أن نخوض في كشف التفاصيل الدقيقة وكيف استطاعت هذه الحركة عبر عقل ذكي ولكنه خبيث وعبر آلة دعائية وعبر أموال طائلة ورجال سياسة في العالم الغربي بل و الشرقي كذلك، أن تقنع العالم أو تكاد تفعل بأن اليهود الذين يبلغ عددهم في العالم 14 مليونا و الذين يعيشون في حالة شتات، منهم الثلث تقريبا يعيش في الأرض العربية (فلسطين) هم مساكين تم الاعتداء عليهم بأبشع الصور و امتهان كرامتهم و حرمتهم في إقامة وطن يأويهم ومحاولة طمس هويتهم اليهودية و التعدي على إنسانيتهم، هذه الدعاية التي قلبت موازين القيم الخلقية رأسا على عقب، وفي مقدمتها قيمة العناية بالآخر، باعتباره ضعيفا يحتاج إلى الدعم والى السند، كيف لا، وقد تحولت الدول و الكيانا الضعيفة إلى داعم و معين بكل الصور والأشكال لليهودي، متناسين بأنه ليس فقط يحتل أرضا ليست أرضه بقوة السلاح ويفرض أمرا واقعا هو واقع القوة لا واقع الحق، ويسوق نفسه كطرف متحضر يرعي حقوق الإنسان و يدافع عنها، وبأن الدولة التي أقامها (دولة إسرائيل) هي الأكثر ديمقراطية في الشرق الأوسط وبأنه يحترم القوانين و المواثيق الدولية وتلك التي بينه و بين العرب الفلسطينيين و منها حق هؤلاء في إقامة دولتهم تلك الحيل و الأكاذيب استطاعت الصهيونية تمريرها بالقوة و التخويف تارة و بالمكرو الخداع تارة أخرى، ولعب دور الطرف الذي تم الاعتداء عليه . والعالم كله يعرف متى تم إنشاء هذا الكيان المحتل وماهي الظروف والشروط التي أدت إلى إنشائه! (إيمانويل كانت، 1970، ص80)

-إن أكبر عملية تزوير للتاريخ الحديث تقع الآن على مسمع ومراى الجميع، وتلك هي الكذبة الثانية التي اخترعتها الصهيونية في دفاعها غير المستحق عن اليهود في الأراضي العربية، بعد خدعة المحرقة النازية.

-إن الأحداث التي تجري الآن في فلسطين وغزة بالخصوص قد فتحت أعين الكثير من الناس ليس فقط في العالم العربي ولكن في الغرب الذي ما فتى يعطي إسرائيل الحق كل الحق في الدفاع عن نفسها باعتبارها الطرف المعتدى عليه، ليس ذلك سوى نتيجة للآلة الجبارة التي تدافع عن إسرائيل (المال، السلطة السياسية والإعلام).

-إن العامة في الغرب لا يكثرثون كثيرا لما يقع عندنا، بل لا يكثرث الواحد منهم لما يقع عند مدخل بابه، فالنزعة الفردية التي كرستها الليبرالية كانت وبالا على المجتمع الغربي، ودفعت به رأسا نحو نزوع فرديا أنانيا لا يتحدث الرجل مع زوجته وأهله سوى عن الكسب والمسكن ووسائل الراحة والعطل والدخل والتقاعد وتربية الأبناء ولا يكثرث بما عدا ذلك. وهكذا فانه يتلقى المعلومات والأخبار عبر وسائل الإعلام، ولا يبذل جهدا في التحقق بل يصدق

أغلب إن لم يكن كل ما تقوله تلك الوسائل، وهذا الدفع باتجاه الفردانية استغلته القنوات الداعمة للصهيونية، فأنفقت أموالا طائلة في فتح قنوات تلفزيونية ومجلات إخبارية ووسائل تواصل اجتماعي تعمل مجتمعة في هذا الاتجاه، تدعم تلك القنوات مصارف وبنوك تنفق بلا توقف ولا حدود. لدينا مثلاً عائلة روبرت موردوخ محب الصهيونية وعدو العرب والمسلمين اللدود، مالك فوكس نيوز والعديد من المجلات اليمينية المتطرفة، لا يتوانى ولا يخجل في إعلان هذا الولاء وذاك العداء ويبذل ما يمكن من أجل نصرة الصهيونية والوقوف في صفها. لدينا من جهة أخرى التمويل المصرفي العالمي لعائلة روتشيلد والتي ورثت هذه القاعدة كابر عن كابر، ولم يشذ واحد من الأبناء والأحفاد عن دعم قضية اليهود في العالم وخاصة في فلسطين أرض الميعاد، وذلك عبر فروع مصارفهم المتواجدة في أغلب دول العالم، كما لم يتأخر أبواب صناعة النفط العالمية من أبناء روكفيلر، والتي تستحوذ على كل الشركات المنتجة للنفط في العالم تقريباً وتحت مسميات مختلفة حتى تلك التي تنشط في مجال التنقيب عن النفط وبيعه في عالمنا العربي مثل شركة أرامكو. (حمدي عبد الحميد محمد الشريف: د س، ص 65)

لم يكن التصور قائماً لأن متلازمة ستوكهولم، هي عقدة نفسية قد تصيب ملايين البشر في أي هذه العقدة - تروى بكيفيتين مختلفتين ولكن تصب كلتا الروايتين في نفس الهدف أو الفكرة، فالبعض يربطها بتعاطف المعتقلين في المحتشدات النازية خلال الحرب العالمية الثانية مع سجنائهم بدعوة أنهم مأمورون لا يملكون إلا تنفيذ الأوامر الصادرة عن السلطة العليا، في حين تذهب الرواية الأخرى إلى أن جماعة من الصووص قامت بالسطو على مصرف في مدينة ستوكهولم وقامت على إثر ذلك باحتجاز مجموعة من الأشخاص كرهائن كانوا متواجدين داخل البنك وبعد أن انتهت عملية تحرير الرهائن والقبض على للصووص وجد المحققون أن الرهائن متعاطفين مع من كان يحتجزهم ولا يجدون فيهم لصوصاً أو أشراراً بل أشخاص وديعون مسالمون، وهكذا فإن ثلثي 2/3 البشرية فيما يبدو، تعاني متلازمة ستوكهولم في شعورها إزاء الصهيونية، ولا تجد فيها منبعاً للشروع والألم، بل تجد في اليهود شعباً مسكيناً ظلم عبر تاريخه ووجب إنصافه و التعاطف معه، وهكذا تأخذ العناية الأخلاقية معنا غريباً مفارقاً للمنطق ولطبائع الأشياء.

-الحقيقة أنه يمكننا في هذا المقام، وعبر تصفح عابر لصفحات التواصل الاجتماعي والمواقع الإخبارية أن نحصي عدداً لا حصر له، فهو رقم بالمئات من الشركات ورجال الأعمال التي أبدت انزعاجها لما يحصل من إرهاب من طرف حماس ضد إسرائيل، فلقد ساد جو من الغضب هؤلاء ضد الإرهاب الفلسطيني، وإذا عدنا إلى بيت القصيد فإن إسرائيل القوية التي اعتدت على أرض الغير بالاحتلال والتهجير والمطاردة والتضييق على رزقه وعلى أفاقه السياسي، كل هذا يسير في اتجاه واحد حاولنا التأكيد عليه منذ البداية وهو كيف تنقلب فضيلة العناية رأساً على عقب، وكيف يتحول القوي الشرس الظالم إلى مسكين مظلوم مغلوب على أمره، وكيف يسخر الأدوات و الوسائل لضمان الاعتناء به و الدفاع عنه، وكيف يدفع في آن معاً باتجاه اعتبار الطرف الآخر إرهابي و حيوان بشري وطرف معتد وجب كبج جماعه.

-إن هذه الصورة المعكوسة لفضيلة العناية الأخلاقية والتي لا يجد كل عاقل كبير عناء في فهمها وإدراكها ما كانت لتكون لولا تلك الآلة التي تشاغلها وتدافع عنها، خاصة إن كانت الحكومات مرتبنة للمال الذي تضخه الجهات الداعمة للصهيونية، فأغلب رؤساء الدول الغربية وأغلب أعضاء مجالسها وبرلماناتها مدعومين من طرف هذه المصارف وجماعات الضغط (علي عبود المحمداوي: 2012، ص96)

ولا عجب عندئذ إذا كان الرئيس الأمريكي والمستشار الألماني ورئيس الوزراء البريطاني والرئيس الفرنسي ورئيس الوزراء الكندي يجمعون على الدفاع عن إسرائيل وحققها المشروع في الدفاع عن حقها ضد آلة البربرية والإرهاب والهمجية. إنه لأمر مفرح أن ينهض هؤلاء وغيرهم

مع أكبر جيش في المنطقة يمتلك قوة نووية رادعة ومئات الآلاف من الجنود وجنود الاحتياط وعشرات الآلاف من ناقلات الجند والدبابات والجرافات ضد جماعة بشرية تقبع منذ عقود تحت الحصار والتجويع والإضطهاد، ويبدو لهم في نهاية المطاف أنهم يقفون مع الطرف الذي يجب عليهم فعلا الوقوف معه. إنه الطرف الذي يمثل الحضارة والديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية وكرامته، نرى كيف تنقلب القيم وفي مقدمتها قيمة العناية الأخلاقية، فترسم في الذهن صورة لإسرائيل كأنه الشيخ المعاق عن الحركة الذي وجب الاعتناء به أو الطفل الملفوف في قطعة قماش لا يدري شيئا عن العالم وجب تقديم الرعاية له حتى يبلغ أشده، وكل تلك الصور عن الكائن الضعيف المحتاج الذي لا بد من الوقوف إلى جانبه. ولكن كيف لنا أن نصدق ذلك ونحن نعرف من هي إسرائيل ومن هي الحركة الصهيونية ومن هي الهيئات الداعمة لها وماذا فعلت الصهيونية عبر الـ 150 سنة الماضية لتثير شفقة العالم والوقوف معها لنصرتها ضد البرابرة؟!

-لنا الحق كأصحاب فكر نقدي أن نقف مشدودين بلا حراك وأن تقف عقولنا جامدة في جو مماثل، لنا الحق أن نتساءل كيف استطاع بضع ملايين من البشر يحركهم شعور التميز والاستعلاء والعنصرية والكراهية للآخر والتعصب الأعمى، أن يحركوا مشاعر العالم؟! قلنا إن ذلك قد حدث عبر تمرير كذبتين كبيرتين وانطلقت الكذبتان على الجميع فيما يبدو، ولكن حتى نصل إلى تلك النتيجة علينا أن نفحص الأمر بعقل ذكي رصين، فاليهودي أي يهودي يصف الآخر مهما كانت مرتبته بما في ذلك رؤساء الشركات والمصارف وأعضاء البرلمانات ومجالس الشيوخ ورؤساء الدول والحكومات بأنهم عبيد مسخرون لخدمة أبناء الله وأحبائه، ومع ذلك يستمر هؤلاء في خدمة اليهود والشعور إزاءهم بشفقة والعطف ويستمررون في إغداق الأموال والهيئات والعطايا لهم، على الرغم من اعتبارهم إياهم حمير يركبهم الشعب الممتاز!

-بدأنا ندرك فيما يبدو أي دور للمال وأي دور للآلة الإعلامية التي تعمل ليلا نهار على غسل العقول وتوجيهها الوجهة التي تريد، فإسرائيل ليست هي الدولة التي نعرف من حيث هي جيش جرار لديه القوة الكافية لضرب الآخر ولكن إسرائيل هي ما يجري خلف الكواليس وفي الباحات الخلفية وفي الغرف المغلقة، إنها إسرائيل التي

ترعاها الصهيونية وتتكفل بمصاريفها منذ طور الحضانة وإلى أن صارت ماردا جبارا يحسب له كل حساب. (فليب هانس: د س، ص 76)

-في غمرة هذا الذهول الذي تحول عنده القوي الشرس إلى ضعيف عاجز يحتاج الدعم والعناية والقلب العطوف علينا أن نقف كأصحاب قضية لا تموت في وجه هذا المد الظالم، وذلك عبر آليات وتطبيقات ، وليس فقط عبر الشعارات وتنديدات حتى تتحول العناية إلى فلسفة تطبيقية تأخذ مسارها الصحيح ونحو الطرف الذي يحتاج إليها أي نحو الحلقة الأضعف في سلسلة هذه المعادلة، علينا أن نعيد الكرة عبر امتلاك القدرة على القول، وبأعلى صوت بأن الصهيوني الذي يحتل أرضا ليست أرضه أعطها إياه جهة محتلة بدورها هي بريطانيا، فكان كما يقال في العرف الأدبي، عطاء من لا يملك لمن لا يستحق، ليس هو المعنى بالعناية وأن الصهيوني الذي يقتل الأبرياء من رجال ونساء وشيوخ وأطفال و الذي يهدم المساكن على رؤوس ساكنها و الذي يجرف البساتين و يقتلع الأشجار و يغتصب الأراضي ليس هو المعنى بالعناية وأن الصهيوني الذي يعتقل من يشاء من أبناء الشعب الفلسطيني أصيل الأرض ليس هو المعنى بالعناية وأن الصهيوني الذي يستخدم القوة المفرطة الغاشمة في إسكات صوت الحق ليس هو المعنى بالعناية وأن الصهيوني المتواجد على هذه الأرض هو محتل وليس من حقه أبدا الدفاع عن نفسه فالذي يحق له الدفاع عن نفسه هو الذي احتلت أرضه. وعندها تعود النصاب إلى منطقها السليم وتعود العناية الأخلاقية كقيمة عملية لها دلالتها في معج المصطلحات الفلسفية، فلعل الذي أعطي المعتدي كل هذا الزخم وهذه القدرة على المناورة والكذب وإقناع العالم بأنه يقف مدافعا عن نفسه وأنه بحاجة إلى الدعم والسند هو أن العناية الأخلاقية نفسها مسألة هلامية فضفاضة متغيرة ذلك أنها شأن إجرائي، فالمبادئ الأخلاقية من حيث هي مفاهيم لا يتسرب إليها الشك أو التحريف كمفهوم العدالة والفضيلة والخير والمساواة والحرية وحقوق الإنسان، ولكن هذه المبادئ نفسها تصبح في مهب الريح حين تتحول من كونها مفاهيم إلى ممارسات على أرض الواقع . وعندها يفرض القوي على الضعيف منطق وهو بلا ريب منطق القوة لا منطق الحق.

يحضر هنا الفيلسوف نيتشه لا كمدافع عن أخلاق القوة ولكم كملاحظ، رصد بذكاء الأخلاق الإنسانية وانتهى إلى نتيجة مفادها أن القوى بما لديه من ذات ممثلة لديه الحق والقدرة على خلق المفاهيم التي يراها مناسبة لكل موقف وظرف وحال، والحال بالمثل، فالصهيونية على امتدادها إسرائيل بكل وسائل القوة صارت لها الغلبة، ولكن البراعة تكمن في الكيفية التي استطاعت بها أو عبرها أن تتلاعب بعقول ومشاعر الملايين من الناس خلال عقود متتالية، وإقناعهم بأنها صاحبة الحق، بل وأنه الطرف المتضرر الذي يتم الاعتداء عليه وأنها بحاجة إلى معين لا ينضب من الدعم والعناية والرعاية، بل وربما إلى دعوة إلى الله بنصرها قد تصدر عن شيخ هنا أو هناك. -أمام هذا الفصل من التاريخ الذي يصنع ويكتب بأكثر الطرق تحريفا وتزويرا يقف العرب والمسلمون صامتين، والمطلوب هو خطوات عملية من أجل تبديل قناعة الشعوب في الغرب، ولعلنا بدأنا نلاحظ كيف انقلب السحر على الساحر أو يوشك أن يفعل، فالليقظة التي نراها عند شرائح واسعة من الناس من مختلف الأعراق والجنسيات

ومختلف الفئات العمرية و المجتمعية، من أساتذة و أكاديميين فنانين و برلمانيين وأشخاص مؤثرين ومن عامة الناس هؤلاء ما كان ليتبدل المزاج لديهم و تنقلب الصورة لتصبح أكثر وضوحا وجلاء لولا وسائط التواصل الاجتماعي التي وجدت بالأساس كأبواق للدعاية الصهيونية ومع التضيق الذي تمارسه هذه الوسائط عبر دعمها اللامشروط لإسرائيل و عبر حجب وإسكات كل صوت مغاير أو معارض، إلا أن الأمور بدأت تتكشف لدى طائفة أو دائرة واسعة من الناس في الغرب، فبعد أن كانوا يرون-مدفوعين بالدعاية الإعلامية التي تمارسها حكوماتهم- في إسرائيل دولة رائدة في حقوق الإنسان و أن كل ما يقع هو تعدي عليها فحولت مواقفهم بعد مشاهدة المجازر المروعة لجيش الاحتلال الصهيوني بحق الأبرياء، وهو الأمر الذي أصابهم بالصدمة و الدهول، إذ لا يمكن اعتبار من يملك قوة هائلة يستخدمها بشكل خاطئ أنه الطرف العاجز الذي يحتاز السند و العناية.

-إن العناية التي قدمتها الولايات المتحدة مثلا لإسرائيل من ذخيرة حربية وجنود وجهد استخباراتي وموقف سياسي داعم بالمطلق لم يشفع لها في أن يتحول الكثير من الأمريكيين الأذكياء بل ومن العامة إلى الجهة أو الطرف المقابل إذ أتاحت لهم وسائل التواصل الاجتماعي رؤية الحقيقة التي كانت محجوبة لفترة طويلة من الزمن كعملية مدبرة إذ لا ترى الشعوب إلا ما تسمح به جماعات الضغط التي تتحكم في المال والإعلام والقرار السياسي.

-وعليه ينبغي أن نواصل السير عبر هذا الطريق أو الاتجاه الذي تكشف وأن لا ندع مجالا للعودة الى النقطة الصفر، فلا تحقيق للعربي و المسلم إذا نحن رصدنا الأموال لتطوير منظومة إعلامية داعمة لقضايانا العادلة، ومن أجل التنمية الاجتماعية دفعا للفقر و الخسوع للآخر، لأن امتلاك أسباب القوة هو امتلاك حرية الموقف و القرار و المصير. فكيف إذا صارت لدينا مثلا شبكات إخبارية ك CNN. Fox Neww. BBC ومواقع ومحركات بحث قوئل ، تويتر، فايبر، فاييبوك، وماذا لو كنا أقوياء اقتصاديا صناعة وزراعة وتسليحا وماذا لو امتلكننا مصارفنا وبنوكنا، عندها نفرض على الآخر احترامنا. ومادامت الأخلاق العملية ومنها أخلاق العناية تابعة لحرية تصرف من يقوم بها، فإننا عندها سوف نفرض قيمنا ومفاهيمنا ومنطقنا ونقنع به الآخر، بل يمكننا أن نحدد الجهة المعنية بالعناية الأخلاقية وأن نقنع العالم بأننا أصحاب حق وأن الآخر هو الطرف المعتدي.

قائمة المراجع:

- إسماعيل أحمد ياغي: الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية، دار المريح، الرياض، 1983.
- إيمانويل كانت: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة محمد فتحي شنيطي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1970.
- جبارة تيسير: تاريخ فلسطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1998.
- الجبوري صائب صالح: محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان.

جواد لتباعي، الحركة الصهيونية متاحة على الإنترنت:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art?aid:221134>

تم التصفح يوم: 07 جوان 2019 على الساعة: 20:00.

حسين غباش: فلسطين – حقوق الإنسان وحدود المنطق الصهيوني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987.

حمدي عبد الحميد محمد الشريف: السياسة والجنس، دراسة في جدلية العلاقة الملتبسة بين نازية هايدغر وصهيونية أرنت، مدارس الفلسفة السياسية، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة سوهاج، مصر.
راجع: البساتين: الحركة الصهيونية، متاحة على الانترنت

<http://www.alweehdat.net/vb/showthread.ph?t:45908>

تم التصفح يوم: 07 جوان 2019 على الساعة: 21:23.

شiche ميشيل "جذور الفكر الصهيوني وسياسة التميز العنصري في إسرائيل"، مجلة جامعة دمشق، 2003.
الشيخ خليل نهاد محمد سعدي: دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني، مذكرة مكملة للحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، القاهرة، مصر، 2003.

الصويان أحمد بن عبد الرحمان: العالم الإسلامي واستراتيجيات المستقبل تحديات الواقع، مجلة البيان الإصدار 3، الرياض، 2006.

علي عبود المحمداوي: مدرسة فرانكفورت النقدية، جدل التحرر والتواصل والاعتراف، ابن النديم، دار الروافد الثقافية، ط1، بيروت، لبنان، 2012.

فليب هانس: حنة أرنت: السياسة والتاريخ والمواطنة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسة، ترجمة خالد عابد، أبو هديب.

محمود دياب: الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني، دار الكتب، القاهرة، مصر، 2002.

موسوعة الأديان: المشرف العام علوي بن عبد القادر متاحة على الانترنت

<https://dorar.net/adyan/295>

تم التصفح يوم: 05 أبريل 2024 على الساعة: 17:35.

ياغي أحمد إسماعيل: الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية، دار المريخ للنشر، الرياض، م ع س، 1989.